# مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة ـ نصف سنوية

*Journal of Human Sciences*

**تصدرها كلية الآداب / الخمس**

**جامعة المرقب. ليبيا**

**Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes**

**28**

**العدد**

**الثامن**

**والعشرون**

**مارس 2024م**

**تصنيف الرقم الدولي (ISSI/3781-2710)**

**رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)**

# فلسفة تربية الأطفال جان جاك روسو* نموذجًا

إعداد: أ. سالمة اشتيوي ناجي*
أ. نعيمة أبو القاسم الجابري

**الملخص:**

يتمتع جان جاك روسو بنظرة فلسفية عميقة للتربية والطفولة، ورأى أن أزمة الإنسان الحديث تتمثل في افتقاره إلى النظرة الفلسفية العميقة للأمور بما يجعله منسجمًا مع الآخرين في مجتمعه.

وقد ألَّفَ كتابه (إميل) أو ما يعرف بـ (تربية الطفل من المهد إلى الرشد) وركز فيه على أهمية تعزيز التجربة لترسيخ المعلومة، واستكشاف العلم بالتطبيق العملي للتجارب، والبحث عن استخداماته في واقع الحياة، ولقد حمل هذا الكتاب مشروعاً تربوياً، وركَّز في حديثه عن الطفولة وإكساب الطفل مجموعة من القيم الجوهرية التي تتمحور حول الحرية والعدالة والسعي للارتقاء بفكر الإنسان وعقله وتفكيره خلال نشأته.

وهدفُ التربية عند روسو هو التنميةُ الكاملة للفرد، ومساعدة الطفل أن يعيش حياة ممتعة ومفيدة وطبيعية، والنجاة من المجتمعات الفاسدة، كما أكَّد على أن التربية الحديثة المنتجة إنما تكون بالممارسة وليس بتلقين الطفل بمعلومات

* جان جاك روسو ولد في جنيف سنة 1712 وتوفي في فرنسا سنة 1778) وهو فيلسوف وكاتب وأديب ومحلل سياسي، ولقد قدر له منذ طفولته أن يترك انطباعات عميقة في حياته ونموه الفكر وصاحب العبارة الشهيرة "يولد الإنسان حراً ولكننا محاطون بالقيود في كل مكان، ومن أهم مؤلفاته: "خطاب في أصل التفاوت–إميل–العقد الاجتماعي" وهذه المؤلفات جعلت من روسو مرشداً كبيراً للضمير" جورج طرابيشي –معجم الفلاسفة– دار الطليعة للطباعة والنشر–بيروت– ط3– 2006م–ص328–331.

* محاضر بقسم الفلسفة كلية الاداب الخمس جامعة المرقب

نظرية قد لا يعلم معناها بقدر ما هو مطالبُ بحفظها، ولذلك ينتقد روسو آلية الحفظ والتلقين.

**Abstract:**

Jean-Jacques Rousseau has a deep philosophical view of education and childhood. He believed that the crisis of modern man is his lack of a deep philosophical outlook on matters .that would make him harmonious with others in his society.

He also wrote his book (Emile), or what is known as (Raising a Child from the Cradle to Adulthood). In which he focused on the importance of enhancing experience to enhance information and explore science through the practical application of experiments. He also focused on searching for uses of science in real life. This book carried an educational project. It focused on childhood and providing the child with a set of fundamental values centred on freedom, justice, and striving to advance human thought, reason, and thinking .during his upbringing.

The goal of education according to Rousseau is the complete development of the individual and helping the child to live an enjoyable, useful and normal life and to escape from corrupt societies. He also stressed that productive modern education is achieved through practice and not through indoctrinating the child with theoretical information, the meaning of which he may not know as much as he is required to memorize it. Therefore, Rousseau criticizes the mechanism of memorization and indoctrination.

**المقدمة:**

من المعلوم أن لكل مجتمع إنساني، في أي زمان أو مكان، بناءَهُ الاجتماعي وثقافته التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات، وله عقيدته وتراثه التي ينشأ حولها فكره وتفكيره، وله عاداته ومُثله العليا التي تنبثق منها توجهاته الفكرية والتربوية.

لذلك نجد أن التربية حينما تصوغ أهدافها ومبادئها فإنها تسعى جاهدة لتكون هذه الأهداف متلائمة مع عقيدة المجتمع وفكره، والقيم التي تعمل على تربية الأطفال في الإطار الاجتماعي بواسطة الأهداف والغايات التي تحددها الفلسفة العامة للمجتمع، والمبادئ الأساسية والمعتقدات التي يعتنقها أفرادها، إذ بدونها تفقد أهداف التربية المصدر الأساسي لها.

وتعتمد الفلسفة التربوية على مفاهيم تساعد الأطفال على التربية والتعليم بطريقة صحيحة، لذا نجد أن الفلسفة تُعنى بدراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور المختلفة من خلال كتابات الفلاسفة الذين اهتموا بالتربية، وخاصة تربية الأطفال، ويُعد جان جاك روسو أحد المهتمين بفكرة الطفولة وفلسفتها، حيث ألَّف في ذلك كتابه "إميل" أو ما يعرف بـ (تربية الطفل من المهد إلى الرشد).

كما تُعد الفلسفةُ الطبيعية التي شكلتها النزعة التربوية بزعامة الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو انعطافاً كبيراً في الفكر الفلسفي والميدان التربوي، وبهذا يعد روسو رائد علم الطفل، عندما جعل معرفة الطفل وعالمه الخاص شرطاً للتربية، وهو المبدأ الذي لم تخرج عنه كل الأبحاث والدراسات، على أن التربية تتوافق وتحترم المسار الطبيعي لنمو الطفل، ويؤكد روسو على أنَّهُ لا ينبغي النظر إلى الطفل على أنه كائن ناقص التكوين، بل هو يعيش في حالة تكيُّف مع ظروفه الخاصة، مما يجعله حراً مكتفياً بما لديه من قوى وقدرات، هذا هو المبدأ الذي أقرته الطبيعة، وعلى المربي احترامه في علاقته بالطفل، ولكون الطفل كائناً حراً بموجب

الطبيعة فهو ليس في حاجة إلى تأكيد شعوره بالحرية عن طريق الأعمال الطائشة والحركة المفرطة، وما علينا إلا أن نتركه وحدَهُ حراً طليقاً، ونلاحظ طريقة عمله، ولننظر ماذا سيعمل من غير أن نقول شيئاً، حينها سندرك أنه بارع، مرِن الحركة، لا يبتغي من وراء فعله إلا غاية يقدر عليها.

- **إشكالية الدراسة:**

يمكن تحديد إشكالية الدراسة من خلال طرح التساؤلات الآتية:
ما المقصود بالتربية؟ وما العلاقة بين الفلسفة والتربية؟ وما المبادئ الأساسية لطبيعة الطفولة في الفكر التربوي عند روسو؟ وما أهم الأفكار التي تضمنها كتابه "إميل"؟ وهل هدف التربية عنده هو أن يتعلم الطفل كيف يعيش؟ وما امتداداتُ الفكر التربوي عنده؟

- **منهج الدراسة:**

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي كأساس في تحليلينا للأفكار التربوية عند روسو، كما اعتمدنا على المنهج المقارن من خلال مقارنتنا بين الحالة الطبيعية والحالة المدنية عند روسو.

-أما تقسيمات البحث فقد تم تقسيمهُ بعد المقدمة إلى أربعة مباحث وخاتمة، تضمنت ما توصلنا إليه من أفكار ونتائج من خلال البحث.

**المبحث الأول: التعريف بالمفاهيم والمصطلحات**

**الفلسفة لغةً:** الفلسفة كلمة مُعرّبة على وزن (فعللة) عن الأصل اليوناني: "فيلو صوفيا" التي تدل على محبة الحكمة؛ وبذلك فالفلسفة تعني محبة الحكمة، وهي نشاط يقوم به الإنسان عندما يسعى إلى فهم الحقيقة[1].

[1]- مصطفى حسيبة- المعجم الفلسفي- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان-ط1-2009م- ص468.

وتوصف الفلسفة بأنها التفكير؛ أي التفكير والتأمل والتدبر، فهي بهذا تحاول الإجابة عن الأسئلة الأساسية التي يطرحها الوجود والكون.

**الفلسفة اصطلاحاً:** نشأت الفلسفة على أساس تفعيل أقصى إمكانات العقل والمنطق والاستدلال بهدف الوصول إلى حقائق مثبته حول أصل الوجود وحقيقة العلوم والمعارف، وأصل الأشياء والأخلاق التي يحتكم إليها الإنسان[1].

ولذلك تهتم الفلسفة بالبحث المنهجي في مبادئ وافتراضات أي مجال من مجالات الدراسة، كما تهتم بدراسة المعنى، والمبادئ الكامنة وراء السلوك، والفكر، والمعرفة، والمهارات التي تنشدها هي القدرة على التحليل والتشكيك في الأصول والتعبير عن الأشياء بوضوح.

**التربية لغةً:** مشتقة من الفعل الماضي (ربا) ومضارعه (يربو)، بمعنى: زاد ونما، فهي تحمل معنى النمو والزيادة.[2]

ويدل الفعل "يربي" على أن التربية معناها النشأة والترعرع، كما يدل على معنى: أصلحه وتولى أمره ورعاه، فمدلول التربية في اللغة العربية يتمحور حول النشأة والرعاية والإصلاح، ومن هذه المعاني نجد أن التربية تعني: الزيادة والنمو والرعاية والإصلاح.

**التربية اصطلاحاً:** هي مجموعة من الوسائل والسبل التي ينتجها الفرد من أجل تنمية القدرات والمواقف التي يقبلها مجتمعه، وإيجاد خبرات تعليمية مضبوطة في

[1] – جمال الدين سعيد – معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية – دار الجنوب للنشر– تونس – 2004م – ص337.

[2] – ابن منظور، لسان العرب– الجزء الثالث – دار المعارف–القاهرة–1990م، ص1545.

بيئة معينة، وهي جميع الوسائل الموجهة التي يستخدمها الناس في عملهم من أجل تحصيل الثقافة الخاصة بهم والإسهام الفعلي فيها.[1]

**الطفل لغة:** ذكر ابنُ منظور أنَّ الطفل والطفلة: الصغيران، والطفل: الصغير من كل شيء، ويقال: طفل وطفلة وطفلان، وأطفال، وطفلتان، وطفلات، في القياس، والطفل: المولود[2].

**ويقصد بالطفولة:** المرحلة التي يعتمد فيها الطفل على غيره في تأمين متطلبات حياته، ولا يستغني عن والديه، وتكون من بداية مولده حتى سن الثانية عشر، وتعد مرحلة الطفولة هي نقطة البداية لبناء شخصية الإنسان، فهي أولى مراحل البناء، فمرحلة الطفولة ليست بالعادية، بل هي من أهم مراحل حياة الإنسان.

**وتُعرَف أيضاً:** – بأنَّها المرحلة العمرية التي يكون لديها رغبة في العيش والتكملة[3].

وهذه المرحلة تبدأ منذ ولادة الطفل حتى ما قبل بلوغ سن المراهقة، ومرحلة الطفولة تعد من أكثر المراحل العمرية التي تحتاج إلى اهتمام، ويحتاج فيها الطفل أن يُعطَى حقه، وهذا الاهتمام يظهر على الطفل عندما يكبر.

**الطفولة اصطلاحًا:** هي المرحلة التي تبدأ من لحظة ميلاد الطفل إلى سن نضجه، ويتم خلالها تكوين شخصيته، كما أن تحديد هذه المرحلة العمرية يعد من الأمور

[1] –فاروق عبده فليه – وأحمد عبد الفتاح التركي – معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً – دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر – مصر – ط1– 2004م– ص87.

[2] –ابن منظور لسان العرب ج 11–أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم–دار صادر– بيروت – ط3 –1388هـ –ص 401.

[3] –آمال صادق – وفؤاد أبو حطب– نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ج 1– مكتبة الأنجلو المصرية – مصر– ط4– ص61.

المختلف عليها بين ميادين العلم المختلفة تبعاً لاختلاف المعايير التي تعتمد في تحديد هذا المفهوم[1].

يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى الاهتمام، ويعتمد في حياته على الذين يراهم من حوله باستمرار مثل: الأم والأب وإخوته.

**ولهذا يعرف الطفل لغةً واصطلاحاً:** بأنه ناقص العقل، ولابد من تربيته التربية السليمة حتى يكتمل عقله بالكثير من المواقف، والأمور التي تعد تكملة لشخصيته.

وقد عرَّف فيلسوف العصر الحديث "جان جاك روسو" التربية: –بأنها تعمل على تهيئة الطفل كي ينمو على طبيعته انطلاقاً من ميوله واهتماماته، فهي تكمن في البناء والإصلاح والصنع والسعي لخلق حاله من التوازن بين الحاجات وترويض الغرائز والرغبات، وكذلك تتكلف ببناء الجوانب الثلاثة في الإنسان: "الجسم والعقل والروح" على أساس القيم والمعايير المدروسة، وعلى استقلال الشخصية والعدالة الاجتماعية، ومعرفة الأسس الأخلاقية والإنسانية[2].

فنلاحظ هنا أن للتربية أهمية كبيرة في ذات الطفل، وكذلك في المجتمع الذي يعيش فيه، كما لها دور كبير في تقدمه، وهي ضرورية لبناء دولة عصرية وحديثة.

**المبحث الثاني: العلاقة بين الفلسفة والتربية**

تقوم فلسفة التربية على ميدانَيْنِ بينهما تداخل معرفي، وهذان الميدانانِ هما: الفلسفة والتربية، والسؤال هنا: ما طبيعةُ العلاقة بين هذين الميدانين؟

[1]– طلعت إبراهيم لطفي – التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف عند الأطفال في الأسرة والطفولة – ط1– 1998م– ص185.

[2] – علي القائمي – تربية الطفل ديناً وأخلاقياً – مكتبة فخران – الأردن –ط1– 1999م – ص128.

التربية هي ذلك العمل المتناسق الذي يهدف إلى نقل المعرفة، وإلى تنمية القدرات وتدريب وتحسين الأداء الإنساني في كافة المجالات، وخلال حياة الإنسان كلها[1].

وهدف الفلسفة هو المعرفة الأعمق بالغاية من الحياة، فإن التربية هي الوسيلة لذلك الهدف، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الفلسفة والتربية وجهان مختلفان لشيء واحد، الفلسفة "فلسفة الحياة" والتربية هي الوسيلة التي تراهن عليها لترجمة الفلسفة في شؤون الحياة؛ ذلك أن التربية هي فلسفة عملية تلامس الحياة الإنسانية بكل تفاصيلها، ويقوم على هذا الارتباط الوثيق بين الفلسفة والتربية دورُ فلسفة التربية، وذلك بقيامها بتحليل وتفسير وتوضيح وبيان أوجه الخلاف، وإيضاح المفاهيم المختلفة التي تدور في الجمال التربوي لتتخذ منها وسيلة لتوجيه العملية التربوية وتحسينها.[2]

وممَّا يدل على الصلة الوثيقة بين الفلسفة والتربية، ومدى اعتماد كل منهما على الآخر هو أن مُعظم كتب الفكر التربوي قديمًا وحديثًا تشير إلى أن الحركة التربوية ليست إلا وليدة المذاهب الفلسفية، وأن رجال التربية هم رجال الفلسفة، ونذكر منهم على سبيل المثال لا للحصر "سقراط"* الذي يرى أن الفلسفة والتربية مظهران مختلفان لشيء واحد، تمثل إحداهما فلسفة الحياة، وتمثل الثانية تطبيقًا لهذه

[1] – محمد حلوب الفرحان–الخطاب الفلسفي التربوي–الشركة العامة للكتاب–بيروت–ط1–1999م– ص22–26.

[2] –محمد لبيب النحيحي – مقدمة في فلسفة التربية– دار النهضة العربية– ب ط– 1992م– ص7.

* فيلسوف يوناني ولد 470ق م وتوفي 399ق م) ومن أهم محاوراته فيدون والمأدبة وصاحب المقولة الشهيرة "اعرف نفسك" كما أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها البيوت والأسواق وهو أول من تفلسف حول الحياة وجميع المدارس التي انبثقت عنه هي فلسفات للحياة، فالفكر يخدم الحياة–جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة – مرجع سابق–ص365–366.

الفلسفة، وهذا الرأي يعكس بوضوح العلاقة الكبرى بين الفلسفة والتربية، فالتربية هي تطبيق فعلى وعملي للأفكار الفلسفية.

كما يرى "جون ديوي**" أن الفيلسوف يجب عليه أن يهتم بالتربية، وخصوصاً تربية الأطفال؛ لأنها هي الطريق إلى تحقيق الأهداف الفلسفية التي لها تأثير على حياة الإنسان[1]، وبهذا، فالتربية هي تطبيق عملي لأفكار فلسفية تؤكد على العلاقة الوطيدة بينهما، كما تمثل التربية العمل المتناسق الذي يهدف إلى نقل المعرفة، وإلى تنمية القدرات، وتدريب وتحسين الأداء الإنساني في المجالات جميعاً، والفلسفة هي ميدان يثابر في صياغة النظريات التي تنزع التربية إلى تطبيقها[2].

وبذلك يمكن القول إن التربية ذات هدف معرفي، والفلسفة لها دور في تطبيق هذه الأهداف، كما تساعدنا فلسفة التربية على إدراك وتحديد معنى العملية التربوية ومعنى القيام بها بشكل أكثر عمقاً، وإن هدف الفلسفة هو معرفة الغاية من الحياة، وهي الوسيلة لذلك، فالتربية مضمار التجربة للفلسفة.

**المبحث الثالث: الفلسفة التربوية عند روسو**

يُعدُّ روسو أحد فلاسفة عصر التنوير، وقد انخرط في قضايا مجتمعه، وساهم في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والتربوية التي كانت سائدة آنذاك، وقدم مشروعه التربوي بديلاً لتلك الأوضاع لتحقيق الحرية.

** جون ديوي فيلسوف أمريكي ولد في سنة 1859 وتوفي في سنة 1952) ومن مؤلفاته في علم النفس والديمقراطية والتربية ودراسات حول نظرية المنطق ونشر دراسته عن أصل الأنواع "الداروينية" التي كانت نقطة انطلاق لحياة وحركة فلسفية كان لهما تأثير عالمي، وكما كانت له فكرة أساسية في الأخلاق هي فكرة تقدم في قدرة العقل–جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة–المرجع نفسه–ص311–313

[1] – محمد على أبوريان– تاريخ الفكر الفلسفي– دار الكتب –القاهرة–ط1–1969م–ص41.

[2] – محمد حلوب الفرحان–الخطاب الفلسفي التربوي–مرجع سابق– ص26.

فمفهوم التربية والحرية من المفاهيم الأساسية في الفكر الإنساني منذ أفلاطون، حيث يكون في الاتجاهات الفكرية والسياسية والتربوية (التربية تأتينا من الطبيعة أو من الإنسان، أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية ذلك هو التربية الطبيعية، وما نتعلم من إفادة ذلك النمو هو تربية الإنسان، وما نكتسبه بخبراتنا عن الأشياء التي نتأثر بها، ذلك هو تربية الأشياء)[1]، ويرى أن مصادر التربية هي: "الطبيعة، والإنسان، والأشياء"، وأنه إذ لم تتلاءم التربية الصادرة من هذه المصادر الثلاثة سادت تربية الفرد.

وقسَّم روسو التربية إلى ثلاثة ضروب، ومن بين ضروب التربية الثلاثة نلقى تربية طبيعية خارجة عن إرادتنا، وأما تربية الإنسان فتلك دون سواها مطبوعة فينا بحق، وأما تربية الأشياء فلا تدخل تحت تربية سلطاننا إلا بمقدار[2]، ويبين روسو أن فعل التربية يتداخل فيه ما هو إنساني وما هو طبيعي، وما هو شيء، أي؛ لكل ضرب حدوده، حيث إن التربية الطبيعية خارجة عن سيطرة الإنسان، فهي خاضعة لشروط بيولوجية، والفعل الإنساني يمنح له الحرية للتربية، أما تربية الأشياء فهي مزيج من الخبرات التي نكتسبها من ممارسة التربية، ويؤكد روسو أن نجاح التربية يكون بتظافر هذه الضروب كلها، وتكامل أدوارها في هذا الفعل.

بهذا نرى أن الإنسان يسيطر على اثنين فقط من هذه القوى، بينما يعجز عن السيطرة على القوى الطبيعية، أي النمو الباطني لملكاته، وأن الانسجام في التربية لا يأتي إلا إذا أُخضعت تربية الإنسان والأشياء للطبيعة.

[1]– جان جاك روسو إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد ترجمة الدكتور نظمي لوقا –الشركة العامة للطباعة والنشر–بيروت– ط1– 1958م–ص26.

[2] – المرجع نفسه –ص26.

هذه كانت مصادر التربية عند روسو –كما رأينا– وهي ثلاثة: (الطبيعة والإنسان والأشياء) وبهذا نجد أن التربية تحقق هدفها عند روسو عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته وفق ميله الطبيعي.

كما نجد روسو يحرص في التربية على أن تكون الأم هي المربية للطفل، وأن يكون الأب هو الموجه الحقيقي؛ ليحصل انسجام وتفاهم بين المربية والموجه، وهذا ما يجعل عملية الانتقال من يد المربية إلى يد الموجه سهلة لا تكلف الطفل عناء الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون تفاهم بين المربية والموجه[1].

فالواقع أن الأطفال ليسوا "أخياراً" ولا "أشراراً" بالفطرة، فهم يُولدون وليس فيهم إلا بعض الغرائز، ومن هذا فالعادات تنتج بتأثير البيئة، والعادات إما أن تكون صحيحة أو خاطئة، وأن طبيعة الطفل في أول الأمر تكون مطاوعة للمربي إلى حد كبير، وليس من الصعب أن نجعل من الطفل الصحيح سعيداً، والسعادة في الطفولة ضرورية لا غنى عنها[2].

كما أن نظرية روسو في التربية وظَّفت مفهوماً جديداً، بحيث أصبح –لاحقاً– مفهوماً مركزياً في جميع المجالات، كما أن مفهوم الحرية لا يمكن للطفل أن يتمتع به إلا عند مرشد واحد، وإن دراستنا الحقة هي دراسة البيئة الإنسانية، وتكون التربية الحقة بالممارسة أكثر من التلقين، فالإنسان يبدأ التعليم حين يبدأ حياته.

وأكَّد روسو في كتابه "إميل" على أن الطفل المحروم من الحرية يُولَد ويعيش في عبودية، والأجدر أن يتمتع بالحرية التي تعدُّ المَعبر الوحيد في التربية

[1] –جان جاك روسو–"إميل" أو التربية ترجمة عادل زعيتر–الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية– 2015م –ص28–38.

[2] –برتراند رسل في التربية ترجمة سميرة عبده– منشورات مكتبة الحياة– بيروت– ط1– ب ت– ص34.

للوصول إلى "العقد الاجتماعي، وإميل"، فهما مترابطان، بحيث يدرسان مظهرين لمسألة واحدة، وإميل تلميذ روسو (يتعين عليه أن يعيش في المجتمع، ولابدَّ من الاهتداء إلى نظام التربية، فيتيح له الاحتفاظ بالحالة الاجتماعية وفضائلها)[1].

ويرى روسو أن الحرية حق طبيعي للإنسان باعتباره وُلِدَ حرّاً، وإن مبدأ الحرية في التربية هو من إبداع روسو؛ لأن الحرية في التربية كانت قبله حلماً تربوياً، ولكن روسو جعل الحرية في التربية مركزًا لمشروعه التربوي الذي قدَّمه في كتابه "إميل"، وقد حرَّر نظام الحرية في التربية من كل النظم التربوية القديمة، والتي كانت تتميز بالقسوة والتسلُّط.

ولقد أصدر روسو كتابه (إميل) سنة 1762م، وكلمة إميل فرنسية، تعنى التربية أو التعليم، وأكد فيه على أن الهدف من التعليم هو كيفية العيش باعتدال وتوسط، وهو أطروحة تتناول طبيعة الإنسان وكيفية تعلمه، وهدفه في هذا الكتاب تمكين الفرد الطبيعي من النجاة في المجتمعات الفاسدة، ويحتوي كتابه على نصائح تتعلق بتربية الأطفال، وقد نسَّق روسو كتابه في خمسة إصدارات تعدُّ نظريات وأساسيات التربية، وتتلخص نظرية التربية "إميل" في المراحل الآتية:

1- مرحلة تعليم الأطفال، وتبدأ من بعد (الفطام إلى عمر الخامسة) وفى هذه المرحلة يضع عدداً من المبادئ التي تعطي الأطفال مزيداً من الحرية الحقيقية، ويجب أن تتاح لهم فرصة اكتشاف ما حولهم واكتشاف العالم، ويرى أن الطبيعة الخارجية هي المعلم الأفضل لهم[2].

[1] – إميل برهييه– ترجمة جورج طرابيشي– تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر ج 5– دار الطليعة للطباعة والنشر –بيروت– ط1–1983م–ص200.

[2] – جان جاك روسو –ترجمة عادل زعيتر –إميل أو التربية–مرجع سايق–ص15.

2- مرحلة عصر الطبيعة وتبدأ من عمر (الخامسة إلى عمر الثانية عشرة) ويتلقى الطفل تعليماً يسمى التعليم السلبي، وفيه يُسمَحُ للأطفال باكتشاف قواعد الكون المادي، ويتطورون حتى يصبحوا قادرين على الاعتماد على أنفسهم، ويُتقنون الحُكم جيداً، والتعليم في هذه المرحلة هو تطوير الصفات الجسدية، وخاصة الحواس دون العقل[1].

3- مرحلة ما قبل المراهقة من عمر (الثانية عشرة إلى عمر الخامسة عشرة) ويرى روسو أن الطفل المتطور والمستمر في النمو سيبدأ باكتشاف اهتماماته المختلفة، التي قد تساهم في بناء أساسيات مهنة أو حرفة خاصة به تساعده في الاعتماد على نفسه، والطفل في هذه الفترة قادر على فهم المبادئ العلمية الأساسية المتعلقة بدروس الطبيعة، والنشاط لدى الطفل يأخذ شكلاً عقلياً[2].

4- مرحلة البلوغ وتبدأ من عمر (الخامسة عشرة حتى عمر العشرين) ويعتقد روسو أنَّ العقل يكونُ متطوراً بهذا العمر، وسيكون البالغُ قادراً على التعامل مع المشاعر الجديدة للمراهقة، وتكثر المُلهِياتُ التي تُبعده عن التعليم، ويساهم المعلم المثالي في هذه المرحلة بمساعدة الطلاب في التركيز على مهاراتهم العلمية بعيداً عن الحياة الاجتماعية.

5- مرحلة الشباب من عمر (العشرين حتى عمر الخامسة والعشرين) وهنا المهمة النهائية هي تعليم الزوجين الشابين الحقوق والواجبات الزوجية[3].

[1] – جان جاك روسو–نجيب المستكاوي–دار الشروق –القاهرة–ط1–1989م–ص328.

[2] – جان جاك روسو–ترجمة عادل زعيتر–إميل أو التربية – مرجع سابق–ص16.

[3] – جان جاك روسو–نجيب المستكاوي–مرجع سابق–ص334–335.

إنَّ نظام التربية عند روسو هو تحقيق أقصى نمو طبيعي للفرد، مما يؤدى إلى حياة متوازنة ومنسجمة، كما يهدف إلى تعليمه مساعدة الأطفال على أن يعيشوا حياة مفيدة وطبيعية، كما يُوضح أن الريفَ أكثرُ ملاءمةً لتحقيق هدف التعليم من المدينة المليئة بالعادات السيئة، كما ركَّز روسو على آلية التعلُّم بالتجربة، وقد أوصى بأهمية تعليم العواطف للطفل قبل الأفكار.

ومن خلال الاطِّلاع على كتاب روسو في التربية تبيَّن أن الهدف من التربية هو تكوين إنسان كامل متصل بمسائل الحياة ومعضلاتها وتجاوز مشكلاتها، فالحياة عنده لا تكون في الترف والتمتع، بل الحياةُ هي العملُ، أي أن يقف الإنسان عند قيمة إنسانيته، فيعرف كيف يستخدم حواسه وينتفع بها، فالحياة لا تُعد إلا بالعمل الجليل الذي يقوم به الإنسان، والأثر الخالد الذي يتركه، فالعمل هو الحياة، والحياة هي العمل.

وقد دافع روسو عن الطبيعة الإنسانية، وبيَّن أنَّ هدف التربية يتجلى في تقويم الإنسان والرُّقي به، ومحاربة كل الأشياء التي تعوق نمو الطفل، من بيئة وسلوك ومحيط اجتماعي، والارتكاز على رفض المدينة، وتقديم الريف كبديلٍ لها.

كمـا جعل روسو للتربية وظيفة (وهي أن تزيل كل شيءٍ يقف في سبيل النهوض بالطبيعة الإنسانية ورقيها، بمعنى أن التربية يجب أن تكون وسيلة سلبية تمنع الأشياء التي تعوق نمو الطفل، والأمور التي تؤثر فيه تأثيراً سيئاً، والبيئة التي تفسده من النواحي العقـلية والجسمية والاجتماعية والخلقية)[1].

كما يكمن هدفُهُ من التربية في تربية المواطن للحصول على الحرية والفضيلة معاً، وللحصول على هاتين الثمرتين لابد من الانطلاق من الطفولة،

[1]– محمد عطيه الأبراشي– أصول التربية المثالية في إميل– دار المعارف–القاهرة–ط1–1971م– ص62.

ومتابعة تربيتها حتى يصبح الطفل رجلاً، والرجل هو الإنسان والمواطن الكامل، ولا يمكن للمواطن أن يكون إن لم تكنِ الحرية، ولا حريةَ بلا فضيلةٍ.

وتجدرُ الإشارة هُنا إلى أن روسو اختلف مع كل الفلاسفة في مشروعه التربوي منذ أفلاطون*، بحيث كان غرضه الوصول إلى مجتمع منسجم، بينما يرى أرسطو** أن الهدف تكوين مواطنين منضبطين لقانون المدينة، أما فيما يتعلق بروسو فإنه لا يقترح أي هدف إلا مسألة صنع إنسان كامل، وقد قال إن العيشَ هو المهنة التي أريد له أن يتعلمها، وإن سبب ضياع الإنسان هو المدينة، مما جعله ينتقدها بشدة، فـ (قد أثبت أن المدينة هي السبب في التفاوت وعدم المساواة بين الإنسان والإنسان، وهى منبع الشقاء في كل أمة من الأمم، وقد كتب ضد الفكر والتفكير، ويقول إن التفكير الإنساني أدى إلى الحضارة والمدينة، وأدى إلى الترف، وهذه كلها أصل الشقاء)[1].

ولذلك يقدم روسو الريف كبديل عن المدينة، فالريف يتميز بمميزات طبيعية، ويرى أن للطبيعة وسائل إيجابية في تكوين حياة الطفل لا يجب أن نفرط في هذه الوسائل أو أن نعارضها (ولدى الطبيعة وسائل خاصة لتقويم الجسم

* أفلاطون ولد سنة 427 ق.م- 347 ق .م) يعتبر أعظم فيلسوف في العصور القديمة وقد تتلمذ علي يد سقراط، وأسس مدرسته التي عرفت بالأكاديمية وترك لنا أفلاطون بعض المحاورات منها: " الجمهورية- السياسي- القوانين- ونظرية المثل" جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة – مرجع سابق- ص71-72.

**أرسطو ولد في ستافرو سنة 384 ق.م – 322 ق.م) ويعتبر أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني وأهم مؤلفاته: "الأرغانون- كتاب الخطابة- كتاب ما بعد الطبيعة" جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة- مرجع سبق ذكره ص52-56.

[1]- محمد عطية الأبراشي- جان جاك روسو المصلح الاجتماعي-دار إحياء الكتب العربية-ط1-1946م-ص73.

وتنميته، ولا ينبغي أن نعارض هذه الوسائل مطلقاً، ولهذا لا يجوز أن نرغم طفلاً على البقاء حين يريد الذهاب، ولا أن نرغمه على الذهاب، وهو يريد البقاء حيث هو)[1].

**المبحث الرابع: المبادئ الأساسية لطبيعة الطفل في الفكر التربوي لدى جان جاك روسو**

يرسمُ روسو معالمَ نظرية الطبيعة في التربية، ويعلي من قيمة الطبيعة، خاصة فيما يخص تربية الأطفال، ويرى أنه من الضروري الرجوعُ إلى الطبيعة ليكون الطفل فرداً صالحاً، سواء على المستوى الاجتماعي أو التربوي، فالطبيعة خيِّرة بالفطرة.

يحثُّ روسو الآباءَ على حبِّ الأطفال وفهمهم، وهو يؤكد أكثر على أنَّ ذهن الطفل ليس مجرد قطعة من الطين، يشكلها المربي، ولكن يجب أن يسمح للغرائز والقدرات، بأن تكشف عن نفسه بطريقة طبيعية ومقيدة[2]، والمقصود من ذلك أن التربية تحتاج إلى الآباء، وذلك باهتمامهم وعطفهم، كما يرى روسو ضرورة ترك الطفل على طبيعته، وهذا يساعده على كشف مواهبه وقدراته.

نادى روسو بتربية ملائمة لأعمار الأطفال، ولنموهم النفسي، وأكد على حرية الطفل، ونادى بتجريده من الكتب والإرهاق، وحرص على أن يشيد التربية انطلاقاً من طبيعة الطفل واهتماماته وميوله[3].

---

[1]- جان جاك روسو ترجمة نظمي لوقا-إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد-الشركة العامة للطباعة والنشر-بيروت-ط1-1958-ص82.

[2]- على عبد المعطي محمد- تيارات الفلسفة الحديثة -دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية-ب ط- 1984م-ص443.

[3]- وليام كيلي ترجمة سيد أحمد- تاريخ الفلسفة الحديثة- التنوير للطباعة والنشر-بيروت- 2010م-ص241.

وهنا نجد هدف روسو هو وضع أسلوب تربوي يقوم على مبادئ هامة، تساعد الطفل على الحفاظ على حالته الطبيعية، ورأى بأنه من الأفضل أن يُترك الفرد للطبيعة وقوانينها في التربية.

فالتربية الصالحة هي العودة إلى الحالة الطبيعية، فعلينا أن نجعل الطفل يتعلم ويفهم مختلف مظاهر الحياة ليستطيع حلَّ جميع مشاكله، ولو أن كل مُربٍّ يعود إلى الحالة الطبيعية، لكانت تربية الأطفال صالحة دائماً، فالتربية إعدادٌ للحاضر، فالاهتمام بحاضر الطفل يقوم على أنه الأساس الذي ينمو فيه المستقبل، إذا كان الإعداد للحاضر طيباً، سيكون المستقبل طيباً بالتأكيد.

أكَّد روسو على أنَّ الحقوق الوحيدة للأطفال هي الحقوق الطبيعية، أي المستمدة من الطبيعة، ولكن في إطار اجتماعي أكثر مرونة، كما أوضح في كتابه "إميل" أن التربية هي التي تسيرها القوانين الطبيعية، فالإنسان الذي تتعامل معه التربية الطبيعية هو إنسان تسيره وتحكمه قوانين طبيعة[1].

فنجد تربية الطبيعة عند روسو فيضاً متدفقاً بالحب والحنان على الطفولة والأطفال، وفى حنانه هذا دعوة للانتباه إلى الطفولة المقهورة، وإنسانيته تدعو إلى محبة الأطفال والعناية بهم، وروسو يؤمنُ ببراءة الطفل وبطبيعته الخيرية، ويرى أن ما يلحق بالطفل من فساد إنما يأتيه من البيئة الفاسدة، وليس من فطرته الأصلية، فالإنسان يتعلم من الطبيعة ما يحتاجه، والتربية الصحيحة هي السير وفق قوانينها، بمعنى احترام دور الطبيعة في تربية الطفل، وكذلك بميول الطفل وحاجاته، فالطفل محور التربية، ومن حقه أن يعيش طفولته، وليس من حق الكبار أن يفرضوا عليه نمط الحياة الذى يريدونه.

[1]- جان جاك روسو ترجمة بولس غانم-العقد الاجتماعي-المكتبة الشرقية-بيروت-ب ط-1972م-ص30.

كما يرى أن الأسرة هي أقدم نموذج يمكن أن يعبر عن الحالة الطبيعية، وفي هذا يقول روسو إنَّ مجتمع الأسرة هو أقدم المجتمعات، وهو المجتمع الطبيعي الوحيد؛ وذلك لأنَّ الأولاد لا يبقون مرتبطين بالآباء إلا عندما يحتاجون إليه لحفظ أنفسهم[1]، وهذا يعني أن الأسرة هي النموذج الأول الذي يعبر عن الحالة الطبيعية، والتي تشكل مجتمعاً سليماً وطبيعياً في حدود الفترة التي يحتاج فيها الأبناء إلى الآباء، من أجل تحقيق غاياتهم تحت رعاية الآباء.

يحثُّ روسو الآباءَ على حبِّ أطفالهم وفهمهم، وهو يؤكد أكثر على أن ذهن الطفل ليس مجرد قطعة يشكلها المربي، وبهذا يرى ضرورة ترك الطفل على طبيعته.

نادي روسو بتربية ملائمة لأعمار الأطفال، ولنموهم النفسي، وأكَّد على حرية الطفل واهتمامه وميوله، وأمر بتعليم الطفل لنفسه، وتلتقي بالتالي مع مبادئ التربية الذاتية الحديثة[2]

فنجد هدف روسو هو وضع أسلوب تربوي يقوم على مبادئ هامة تساعد الطفل في الحفاظ على حالته الطبيعية، فالتربية السلبية تعني أن نحقق للطفل نمواً طبيعياً بعيداً عن تدخل الراشدين وعبثهم، وتُوكِّلُ مهمة تربية الطفل إلى الطبيعة ذاتها.

[1]– جان جاك روسو ترجمة عبد العزيز لبيب–العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي–مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت–ط1– 2011م–ص31.

[2]–عبد الله عبد الدائم–عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين–دار العلم للملايين– بيروت –ط5–1984–ص248.

**الخاتمة:**

من خلال ما تم عرضهُ يمكن تحديد أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1- تتمحور أفكار روسو التربوية حول أفكار ترتبط بمبادئ التربية الطبيعية الفريدة التي طرحها كأسس للتربية، وهذه المبادئ هي التي تجعل الطفل متميزاً عن سواه؛ لأنها تجعله شخصاً بارعاً، صائبَ الحكم، كأنه تربَّى تربية ريفية محضة، هذه الأفكار جعلت روسو متميزًا عمَّن سواه من الفلاسفة، فهو يرى أن الأخلاق الفاضلة موجودة في طبيعة الإنسان، ولكن العلوم والفنون هي التي تفسدها، فالتربية الاجتماعية عند روسو تبدأ من الأسرة، حيث يولي الأهمية القصوى للتربية الأسرية أو المنزلية؛ لذا فهو يدعو إلى التربية الطبيعية.

2- يجب الاهتمام بمرحلة الطفولة، وتربية الطفل تربية صحيحة متكاملة ومتوازنة.

3- التعرف على حاجات الطفل وفهمها ومعرفة طرق إشباعها، مما يساعد على الوصول إلى أفضل مستوى من التربية الصحيحة، حتى يتم التوافق النفسي التربوي عند الأطفال.

4- إن للطفل حاجات يجب على الآباء والمربين إشباعها؛ لأن الحرمان منها يؤدي إلى خلل في المستوى التربوي للطفل.

5- مصادر التربية عند روسو هي الطبيعة والإنسان والأشياء، وتحقق التربية هدفها عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته وفق ميله الطبيعي، وإن التربية عملية مستمرة تخص جميع أفراد المجتمع.

6- يجب الاهتمام بأهداف التربية على المستوى الأسري حتى يحقق الأهداف التي تساعده على تنمية أفكاره والظهور بها للمجتمع على مستوى راقٍ من التربية الصحيحة.

7- إن مرحلة الطفولة لا تقل أهمية عن بقية مراحل حياة الإنسان، وبهذا تكون أهم مرحلة؛ لأن فيها تتشكل شخصية الطفل، بما يؤثر سلباً أو إيجابياً على سلوكه في الحاضر والمستقبل.

8- شبَّه روسو مرحلة المراهقة بمرحلة المتوحش النبيل، حيث تزداد قوة ونشاط الطفل بسرعة كبيرة في هذه المرحلة.

9- في مرحلة البلوغ يكون العقل متطوراً وقادراً على التعامل مع المشاعر الخطيرة للمراهقة ومع القضايا الأخلاقية والدينية.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولاً: المعاجم:**

1- ابن منظور، لسان العرب-الجزء الثالث -دار المعارف-القاهرة-1990م.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم-ابن منظور لسان العرب الجزء11 – دار صادر بيروت-ط3 -1388هـ.

3- جمال الدين سعيد – معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية – دار الجنوب للنشر- تونس-2004م.

4- جورج طرابيشي -معجم الفلاسفة- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- ط3- 2006م.

5- فاروق عبده فليه- وأحمد عبد الفتاح التركي – معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً – دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر – مصر – ط1- 2004م.

6- مصطفى حسيبة- المعجم الفلسفي- دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان-ط1- 2009م.

**ثانياً: المصادر:**

1- جان جاك روسو ترجمة بولس غانم- العقد الاجتماعي-المكتبة الشرقية- بيروت – ب ط -1972م-.

2- جان جاك روسو ترجمة عادل زعيتر-إميل أو التربية-طبع بالهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية-2015م.

3- جان جاك روسو ترجمة عبد العزيز لبيب-العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي-مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت-ط1- 2011م.

4- جان جاك روسو ترجمة نظمي لوقا-إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد- الشركة العامة للطباعة والنشر-بيروت-ط1-1958م.

5- جان جاك روسو نجيب المستكاوي-دار الشروق -القاهرة-ط1-1989م.

**ثالثًا: المراجع:**

1- إبراهيم بيومي مرعي – ملاك أحمد الرشيدي-الخدمات الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة-المكتب الجامعي-مصر -ب ط-1982م.

2- آمال صادق- وفؤاد أبو حطب- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ج 1- مكتبة الأنجلو المصرية – مصر.

3- إميل برهييه- ترجمة جورج طرابيشي- تاريخ الفلسفة القرن الثامن عشر ج 5- دار الطليعة للطباعة والنشر-بيروت- ط1-1983م.

4- برتراند رسل في التربية ترجمة سميرة عبده -منشورات مكتبة الحياة-بيروت- ط1-2017م.

5- طلعت إبراهيم لطفي – التنشئة الاجتماعية وسلوك العنف عند الأطفال في الأسرة والطفولة- ط1- 1998م.

6- عبد الله عبد الدائم-عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين-دار العلم للملايين- بيروت -ط5-1984.

7- على عبد المعطي محمد- تيارات الفلسفة الحديثة -دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية -ب ط- 1984م.

8- علي القائمي- تربية الطفل ديناً وأخلاقياً – مكتبة فخران – الأردن -ط1- 1999م.

9- فراح عثمان لبيب- ضوء على الشخصية والصحة العقلية- مكتبة النهضة- القاهرة- 1980م.

10- محمد حلوب الفرحان-الخطاب الفلسفي التربوي-الشركة العامة للكتاب- بيروت-ط1-1999.

11- محمد عطية الأبراشي- جان جاك روسو المصلح الاجتماعى-دار إحياء الكتب العربية-ط1-1946م.

12- محمد عطيه الأبراشي- أصول التربية المثالية في إميل- دار المعارف- القاهرة-ط1-1971م.

13- محمد على أبوريان- تاريخ الفكر الفلسفي- دار الكتب -القاهرة-ط1-1969م.

14- محمد لبيب النحيحي- مقدمة في فلسفة التربية- دار النهضة العربية- ب ط- 1992م.

15- وليام كيلي ترجمة سيد أحمد- تاريخ الفلسفة الحديثة- التنوير للطباعة والنشر-بيروت-2010م.